

في كل ليلة حكاية

١١

رفقاء في الجنة

الدكتور

محمد عمر الحاجي

دار الفکر

بيروت

رسوم: إياد عيساوي



الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المکتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٧

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المکتبي
الطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

رحلة الهداية!!

بعد تناول وجبة الغداء.. استأذنت (سعاد)
أمها بأن تذهب إلى الحي الثاني لزيارة صديقتها
(اعتماد) فهي مريضة منذ ثلاثة أيام..

وافقت (أم سعيد) على طلب ابنتها مع اقتراح
أن تصحب معها ابنة خالتها (ابتهال) وذلك
بهدف التعرف...

وبالفعل ذهبت (سعاد) مع (ابتهال) ، فزارتا
المريضة (اعتماد) والتقتا هناك مع عدد من
الصديقات القديمات.. ودار حديث شيق ، إضافة

إلى ذكريات أيام الدراسة.. وأيام الطفولة ونحو ذلك.

وبعد أذان المغرب دخلت (سعاد) مع ابنة خالتها إلى البيت.. فقالت (أم أحمد): مالك يا سعاد؟ لعل أحداً أغضبك؟!

أجابت (سعاد): لا يا خالتي، لكن ونحن نعود صديقتنا (اعتماد) تحدثت (سمر) بلهجة عنيفة يتخللها الكلمات والجمل القاسية.. عن الذين يعصون الله في بعض الأمور.. وبالتالي حاولت إغلاق كل منافذ التوبة والاستغفار.. وكأن الأحكام عندها قطعية فإما أن تكون مؤمناً، وعندئذ لا يجوز أن تسقط في الأخطاء والذنوب...، أو أن تكون منحرفاً، وعندئذ لا مجال لعودتك إلى منهج الاستقامة، ولا فائدة ترجى من أي عمل خيري!!

واستنكرت (أم أحمد) هذا الأسلوب المتشنج ،
ثم قالت:

لقد ارتكب كثير من صحابة رسول الله ﷺ
الأخطاء ، بل إن بعضهم أقيم عليه حد من
الحدود ، كحد شرب الخمر ، وحد السرقة ، و....
بل إن عمالقة الصحابة كانوا في العهد
الجاهلي عصاة وخطائين.

وطلبت (سعاد) من خالتها (أم أحمد) أن
تحدثها بمثال من حياة الصحابة الكرام ، حيث
يحمل الدليل الواضح على الانقلاب الذي أحدثه
الإسلام في نفوس كثير من أهل الجاهلية.

ووافقت (أم أحمد) على ذلك ، شريطة أن يلتزم
شمل العائلة ، وبعد أن تهئ (ابتهاال وسعاد)
قليلاً من الشراب البارد مع بعض أنواع
الحلويات الدمشقية!!

أَجَلْ يَا خَالَتِي - قَالَتْهَا (سُعاد) - وَهَذِهِ أَسْهَلُ
قَضِيَّةٍ.. فاقترحاتك أوامر.

وَأَنْطَلَقْتُ (ابْتِهَال) إِلَى الصَّالُونَ تَنْادِي
أَخَوَاتِهَا وَأَوْلَادَ خَالَتِهَا.. ، بَيْنَمَا كَانَتْ (سُعاد)
تَقُومُ بِتَحْضِيرِ طَلِبَاتِ خَالَتِهَا (أُمِّ أَحْمَد).

وَكَانَ اقْتِرَاحُ (سَعِيد) أَنْ يَجْلِسُوا فِي الْهَوَاءِ
الطَّلَقِ تَحْتَ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ الْوَارِفَةِ... حَيْثُ
النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْعَلِيلَةُ.. وَحَيْثُ أَضْوَاءُ الْقَمَرِ
الْمُتَدَاخِلَةُ مَعَ أَوْراقِ الشَّجَرِ.

وَمَا إِنْ مَضَى قُرَابَةُ نِصْفِ سَاعَةٍ حَتَّى كَانَ
الْجَمِيعُ مُجْتَمِعِينَ تَحْتَ شَجَرَةِ الثُّوتِ الْكَبِيرَةِ..
بَيْنَمَا رَاحَتْ (سَمِيرَة) تُقَدِّمُ الْحَلْوِيَّاتِ لِلْجَالِسِينَ ،
وَتَتْبَعُهَا (ابْتِهَال) وَهِيَ تُقَدِّمُ الشَّرَابَ الْحَلْوِ
الَّذِيذ..

وبعدَ قَلِيلٍ وَقَفَ (سَامِي) وَقَالَ: إِذَا مَا هِيَ
حِكَايَةُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ يَا خَالَتِي؟

وَابْتَسَمَتْ (أُمُّ أَحْمَد) ثُمَّ قَالَتْ: وَالْآنَ تَبْتَدِي
الْحِكَايَةَ:

فِي الْعَهْدِ الْجَاهِلِيِّ ، وَنَتِيجَةَ ابْتِعَادِ النَّاسِ
عَنْ يَنَابِيعِ الْهِدَايَةِ وَالنُّورِ ، لِأَنَّهُ قَدْ مَضَى مِائَاتُ
السَّنَوَاتِ عَلَى آخِرِ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لِذَلِكَ عَاشَ النَّاسُ فِتْرَةَ التَّخْبُطِ وَالضِّيَاعِ ،
وَاخْتَرَعُوا مَسْأَلَةَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ .. بَلْ
لَقَدْ بَالِغُوا فِي ذَلِكَ إِلَى حَدٍّ عَجِيبٍ ..

فَأَهْلُ مَكَّةَ مَثَلًا اتَّخَذُوا لِأَنْفُسِهِمْ صَنَمًا عَظِيمًا
أَطْلَقُوا عَلَيْهِ (الْعَزَّى).

وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ عَظَمُوا صَنَمًا أَطْلَقُوا
عَلَيْهِ (مَنَاة).

بَيْنَمَا بَالِغُ أَهْلِ الطَّائِفِ بِتَقْدِيسِ صَنَمِهِمْ
(اللات) وَهَكَذَا فِي سَائِرِ أَمَاكِنِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

بَلْ وَضَعُوا أَنْاسًا مَتَفَرِّغِينَ لخدمةِ تِلْكَ
الْأَصْنَامِ ، وَكَانَ مِنْ خَدَمِ مَنَاةَ رَجُلٌ يُدْعَى
(عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ بْنِ زَيْدِ الْخَزْرَجِيِّ).

وَبَالِغُ (عَمْرُو) هَذَا فَاتَّخَذَ فِي دَارِهِ صَنَمًا
آخَرَ ، وَاشْتَرَاهُ مِنْ نَجَّارٍ مُتَفَنَّيٍّ ، فَكَانَ الصَّنَمُ مِنْ
الْخَشَبِ النَّفِيسِ.

لكن عِنْدَمَا شَاءَ اللهُ لِلنَّاسِ أَنْ يَعْيشُوا فِي
ظِلَالِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ النُّورُ
كُلُّهُ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ، فَمَنْ آمَنَ مَعَهُ نَالَ الْفَوْزَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْمَنْهَجِ وَاتَّبَعَ
الطَّرِيقَ الْمُتَلَوِيَّةَ ، فَسَيَصِيرُ حَالُهُ إِلَى الشَّقَاءِ
لَا مَحَالَةَ ، وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ..

وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

أولاد (عمرو بن الجموح) وهم: مُعَاذٌ وَمُعَوِّذٌ
وخلاد ، وعبد الرحمن).

وكذلك أمنت زوجته (هند بنت عمرو بن
حرام) مع أخيها (عبد الله).

لكن كيف ينتقل سادن الأصنام إلى نور
الإسلام؟!

اتفق (مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو) مع أصدقائه الشباب
على تحطيم الأصنام والسُّخْرِيَّةِ مِنْهَا وَمِنْ
أصحابها!!

وذات ليلة رأى (عمرو بن الجموح) ولده
(مُعَاذًا) فقال له: أخبرني ما سمعت عن الرجل
المكي الذي جاء بالدعوة الجديدة..

وبالفعل راح (مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو) يقرأ سورة الفاتحة ،
بينما كان (عمرو) يُصْغِي بِكُلِّ فَرْحٍ وَسُرُورٍ ، ثُمَّ

قَالَ لَوْلَدِهِ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ ، وَهَلْ كُلُّ
كَلَامِهِ مِثْلَ هَذَا؟

فَقَالَ (عَمْرُو): أَلَا تَأْخُذُونِي إِلَى (مُصْعَبِ بْنِ
عُمَيْرٍ) لِأَسْمَعَ مِنْهُ كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..

فَاصْطَحِبْهُ (إِبْرَاهِيمَ) إِلَى حَيْثُ يُلْقَى (مُصْعَبُ)
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْضَ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِفَهْمِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَلَمَّا أَنْصَتُوا إِلَى كَلَامِ اللَّهِ بِصَوْتِ (مُصْعَبِ)
وَهُوَ يَقْرَأُ مِنْ أَوَائِلِ سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿الرَّتْلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ
الْغَافِلِينَ﴾ [يُوسُفَ: ١ - ٣].

شَعَرَ (عَمْرُو) أَنَّ شَيْئًا هَادئًا يَتَسَلَّلُ إِلَى

أَعْمَاقِ نَفْسِهِ ، فَقَالَ: عَلَيَّ مَشُورَةٌ.. وَسَاعِدُوا إِلَيْكُمْ
بَعْدَ قَلِيلٍ.

وَانطَلَقَ إِلَى بَيْتِهِ وَدَخَلَ غُرْفَةَ صَنْمِهِ... وَلَكِنْ
يَا لِلهَوْلِ! أَيْنَ صَنْمِي الَّذِي أَعْبُدُهُ وَأَدْعُوهُ فِي كُلِّ
الْحَوَائِجِ!؟

وَرَأَى يُفْتَشُّ كَالْمَجْنُونِ... حَتَّى عَثَرَ عَلَى
صَنْمِهِ فِي إِحْدَى الْحُفْرِ الْقَدْرَةِ مَنْكَساً عَلَى رَأْسِهِ!
فَحَمَلَهُ وَعَادَ إِلَى غُرْفَتِهِ ، فَغَسَلَهُ وَطَيَّبَهُ...
وَرَأَى يُتِمَّتَم: وَأَيَمَ اللهُ ، لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ مَنْ صَنَعَ بِكَ
هَذَا لِأَخْزَيْتَهُ..

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَسَلَّلَ ابْنُهُ (مُعَاذٌ) مَعَ
أَصْدِقَائِهِ إِلَى غُرْفَةِ الصَّنَمِ.. فَحَمَلُوهُ وَأَلْقَوْهُ فِي
مَكَانٍ وَسَخٍ!

وَعَادَ (عَمْرُو) إِلَى التَّفْتِيشِ عَنْهُ..
وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ ، عَلَّقَ سَيْفَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ

وَقَالَ لَهُ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مِنْ يَفْعَلُ بِكَ مَا تَرَى ،
فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَاذْهَبْ فَهَذَا السَّيْفُ مَعَكَ!!

وَفِي الْمَسَاءِ جَاءَ الْفَتِيَّةُ إِلَى الصَّنَمِ ، فَحَمَلُوهُ
وَأَلْقَوْهُ خَارِجَ الْبَيْتِ ، وَرَبَطُوا بِهِ كَلْبًا مَيِّتًا ،
وَأَخَذُوا السَّيْفَ وَانْطَلَقُوا مُسْرِعِينَ .

وَجَاءَ (عَمْرُو) فَرَأَى مَاذَا جَرَى لِلصَّنَمِ ، فَرَأَحَ
يَسِبُّ الصَّنَمَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُهُ.. ثُمَّ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ
وَهُوَ يَقُولُ:

تَا إِلَهِي لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ

أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بئْرٍ فِي قَرْنٍ^(١)

أَفْ لِمَلَأَكَ إِلَهًا مُسْتَدِنًا^(٢)

الآن فَتَشْنَاكَ عَنِ سُوءِ الْغَبْنِ^(٣)

(١) أي: في حبل واحد.

(٢) أي: ذليل مستعبد.

(٣) أي: الغباوة والسفه.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَّةِ
الْوَاهِبِ الرَّزَاقِ دَيَّانِ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ
أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهَنٍ

«قد ترافقوا في الجنة جميعاً»!!

تَابَعْتُ (أُمَّ أَحْمَد) حكايتها الرائعة:

وانقلبت حياة (عمرو بن الجموح) رضي الله
عنه رأساً على عقب، لكنه أراد أن يكفر عن
أخطائه، فعاهد الله سبحانه وتعالى على
الجهاد، في سبيله حتى آخر رمق.

وكانت غزوة أحد، وحاول أولاده منعه من
الاشتراك في الغزوة، وذلك بسبب عرجه
الشديد..



وَرَاخَ يُرَدُّدُ: اللَّهُمَّ ارزُقْنِي الشَّهَادَةَ وَلَا تَرُدَّنِي
إِلَى أَهْلِي خَائِبًا.

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ الْجَنَّةَ!!

فَسَمَحَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِالْمُشَارَكَةِ فِي
الغُرُوزِ..

وَيَشَاءُ اللَّهُ لَهُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِهِ ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ
سَقَطَ ابْنُهُ (خَلَادًا) وَسَقَطَ أَيْضًا مَوْلَاهُ (أَبُو
أَيْمَن) ، وَكَذَلِكَ أَخُو زَوْجَتِهِ (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَرَامٍ)
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَفِي آخِرِ الْمَعْرَكَةِ.. أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ
مَكَانٍ لِيَدْفَنَ فِيهَا الشُّهَدَاءُ... وَوُضِعَ (عَمْرُو بْنُ
الْجَمُوحِ) مَعَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرَامٍ) فِي حُفْرَةٍ
وَاحِدَةٍ ، وَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا

قَالَ: «ادْفُنُوا هَذِينَ الْمُتَحَابِّينَ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرِ
وَاحِدٍ».

وَوَقَّفَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ: «السَّلَامُ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ».

ثُمَّ قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ..
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى
اللَّهِ لِأَبْرَاهِمَ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ
يَطُأُ فِي الْجَنَّةِ بِعَرَجَتِهِ».

وَعِنْدَمَا أَقْبَلَتْ زَوْجَتُهُ (هِنْدٌ) وَسَأَلَتْ رَسُولَ
اللَّهِ عَنِ شُهَدَاءِ الْمَعْرَكَةِ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: «يَا هِنْدُ ، قَدْ تَرَأَفُوا فِي الْجَنَّةِ جَمِيعاً ،
عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ ، وَابْنُكَ خَلَادٌ ، وَأَخُوكِ
عَبْدُ اللَّهِ».

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ عَسَى أَنْ
يَجْعَلَنِي مَعَهُمْ..

وهكذا... التفتت (أمُّ أحمد) إلى (سُعاد)
وقالت:

فهذا الصَّحابِيُّ الجليلُ (عَمرو بن الجَمُوح)
عاشَ حَيَاةَ الانْفِلَاتِ فِي الجَاهِلِيَّةِ.. وَعَبَدَ الصَّنَمَ
و...

ولكنَّ اللهَ أرادَ له الهدايةَ ، فَصارَ شيئاً آخَرَ ،
صارَ بطلاً مُجاهِداً ، وَكانتِ النَتِيجَةُ أن نالَ
الشَّهادةَ فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى.

وتلا أَحْمَدُ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن
قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وآخرَ دَعوانا أن الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ